

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

Elements of development in the thought of Malik ben Nabi

عبد القادر بريم¹¹ جامعة ابن خلدون (تيارت)، abdekader.berrim@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/07 تاريخ القبول: 2023/07/24 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى بيان مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي فهو يرى أن مجتمعات العالم الثالث خاصة العربية منها تملك مقومات طبيعية وبشرية كثيرة ومتنوعة، إذا ما أحسنت استغلالها تخلصت من التخلف والركود الذي تعانيه ولحقت بمصاف المجتمعات الحضارية المتقدمة، وتكمن طريقة استغلال هذه المقومات عموماً في التكتل فيما بينها والتركيز على الجانب الزراعي، وإعطاء الأولوية للإنتاج على الاستهلاك إضافة إلى ضرورة تخليص موادها الأولية من الهيمنة الغربية كما تكمن طريقة استغلالها أيضاً في ضرورة الاستثمار في المجتمع وإعطائه الأولوية على الاستثمار في المال، والعمل على تعبئة الطاقات الاجتماعية الكاسدة، وكذا تحقيق ما يسمي بالفعالية الاجتماعية -التي لعبت دوراً كبيراً في تطور المجتمع الغربي وازدهاره حتى غدت خاصية تميزه- هذا إضافة إلى إخضاع عمليتي الإنتاج والاستهلاك إلى أساس أخلاقي.

كلمات مفتاحية: مقومات طبيعية وبشرية، تكتل، إنتاج، الاستثمار في المجتمع الفعالية الاجتماعية.

Abstract

This article aims to explain the elements of development in the thought of Malik bin Nabi, as he believes that that societies of the Third World especially the Arab

ones, have many natural and human components that can free them from backwardness and stagnation they suffer from if they are well-exploited, and thus they join the highly advanced societies, this can be achieved through cooperation and giving importance to agriculture, giving priority to production over consumption, in addition to the need to free raw material from western dominance, the exploitation of these components also lies in the need to invest in society and giving it priority over investment in money, working on mobilizing inactive social energies, achieving the so called social effectiveness- Which played a major role in the development and prosperity of Western society until it became a feature - as well as subjecting the process of production and consumption to a moral basis

Keywords natural and human components, cooperation, production, invest in society, social effectiveness.

*المؤلف المرسل: عبد القادر بريم

1. مقدمة

تمتلك مجتمعات العالم الثالث خصوصاً العربية منها مقومات تنمية طبيعية وبشرية كبيرة تجعلها تنبؤاً مكانتها الجديرة بين المجتمعات العالمية الكبرى وتمكنها من التخلص من الهيمنة والتبعية للغرب إذا ما أحسنت استغلالها وتوظيفها، وتخلت عن سياسة الاعتماد على تصدير المواد الخام أو السلع الأولية للحصول على العملة الأجنبية كما تفعل الجزائر وليبيا ونيجيريا مثلاً في اعتمادهم على تصدير البترول للحصول على هذه العملة، الأمر الذي ضر باقتصاد مثل هذه الدول والمجتمعات وجعله ضعيف متدهور لا مكانة له في الاقتصاد العالمي وهذا الضعف والتدهور ليس بسبب قلة الموارد الطبيعية والبشرية كما يرى مالك بن نبي وإنما السبب هو نتيجة عدم القدرة على استغلالها، فهذه

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

الدول لها مقومات طبيعية وبشرية هائلة ومتنوعة تؤهلها لأن تحل صدارة الدول المتقدمة إذا ما أحسنت استغلالها، ففيم تتمثل هذه المقومات الطبيعية والبشرية وما الطريقة المثلى في كيفية استغلالها حسب هذا المفكر؟

للإجابة عن هذين السؤالين سنحاول في هذا العرض المتواضع أن نقف عند نقطتين رئيسيتين الأولى نتطرق فيها إلى أهم المقومات الطبيعية وطريقة استغلالها، أما الثانية فنتطرق فيها إلى أهم المقومات البشرية وطريقة استغلالها كذلك وهذا من أجل النهوض بهذه المجتمعات وانتشالها من الاعتماد على الغرب ومن التبعية العمياء له، وهاتان النقطتان سنتناولهما بشيء من التفصيل فيما يلي لننتهي في الأخير إلى خاتمة نبين فيها خلاصة ما عرضناه.

2. المقومات الطبيعية وطريقة استغلالها

2.1 المقومات الطبيعية

تزرع مجتمعات العالم الثالث لاسيما العربية منها بمقومات طبيعية هائلة ومتنوعة فهي تتميز بالأراضي الشاسعة ذات التربة الخصبة، والتضاريس المتنوعة والمياه العذبة والأنهار الكبيرة كالنيل ودجلة والفرات وغيرها... مما يساعدها على زراعة الكثير من المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والذرة والأرز والفواكه والخضر على اختلاف أنواعها، كما تزرع أيضا بمختلف مصادر الطاقة كالبتترول والغاز والفحم والطاقة الشمسية، وكذا الثروات المعدنية المختلفة كالحديد والنحاس والفوسفات والرصاص...

لكن وعلى الرغم من هذه الإمكانيات المعتبرة التي تمتلكها الدول العربية إلا أنها مازالت من الدول المتخلفة كونها بقيت مكتوفة الأيدي، مكتفية بما ينتجه الأجنبي

2.2 طريقة استغلال هذه المقومات

يتعين على الدول العربية – في نظر مالك بن نبي- إذا ما أرادت أن تتخلص من التبعية للأجنبي أن تتكتل فيما بينها وأن تركز على الجانب الزراعي، وأن تعطي الأولوية للإنتاج على الاستهلاك إضافة إلى ضرورة تخليص موادها الأولية من الهيمنة الغربية.

فبخصوص التكتل الاقتصادي يرى بن نبي أن الدول العربية هي دول متجانسة تاريخيا وثقافيا واقتصاديا وحضاريا وهي دول واقعة على امتداد رقعة جغرافية واحدة، يسهل فيها التبادل التجاري وتنقل الأشخاص وكافة الطاقات المتاحة وهذا ما يساعدها على الوحدة ومن ثم تحقيق ما يسمى بالاكتماء الذاتي" فبقدر ما تتوحد هذه الرقعة بقدر ما تجتمع إمكانياتها وحاجاتها... (بن نبي، 2000 أ، صفحة 99) "كما هو الحال "في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين (بن نبي، 2000 أ، صفحة 102)

" فمن الممكن أن يتكفل اتفاق ثلاثي بين السعودية ومصر والسودان بري وإخصاب منخفض القطار الممتد من غرب الإسكندرية إلى حدود ليبيا لمصلحة الدول الثلاث، وذلك خارج نطاق الري المصري (بن نبي، 2001 ج، صفحة 167) وفي ظل هذا هذه الإمكانيات والحاجات الموحدة تحقق الدول العربية اكتفاءها الذاتي ومن ثم تستطيع الاستغناء عن غيرها وتواجه التكتلات الاقتصادية الكبرى في العالم.

وبخصوص التركيز على الجانب الزراعي أشار بن نبي إلى فكرتين مهمتين الأولى تتمثل في ضرورة استغلال الأراضي القاحلة ونصف القاحلة التي جاء بها المهندس الزراعي تيرانس مالتسيف ذلك أن هذه الصفة من الأراضي " تنطبق على مساحات شاسعة من الرقعة الأفرسيوية، وتنطبق على كل حال على أراضي الشمال الإفريقي لأن عجز الإنتاج الزراعي في هذه المنطقة لا ينتج في الواقع عن

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

استعمال الوسائل العتيقة أو عن التنظيم الزراعي فحسب بل ينتج أحيانا عن الظروف الطبيعية القاسية (بن نبي، 2001 ج، صفحة 169).

وتتمثل الفكرة الثانية في ضرورة تطبيق الاشتراكية على وسائل الإنتاج بحيث تصبح هذه الوسائل ملكا للجميع وفي متناول المجتمع دون أن نتبنى الاشتراكية أساسا مذهبيا إذ ينبغي أن نتعامل مثلما تعاملت معها الهند التي صرح رئيس وزرائها نهرو قائلا "إن الاشتراكية لا يجب أن تفسر تفسيراً مذهبيا بل هي في الحقيقة جعل وسائل الإنتاج في حوزة الملكية الجماعية بحيث تدار لصالح المجتمع كله (بن نبي، 2001 ج، صفحة 168) لأن بهاتين الفكرتين نحقق فائض الإنتاج الزراعي ومن ثم ننتقل حتميا إلى مرحلة التصنيع التي لا يمكن أن نتقل إليها ما لم نحقق فائضا في الإنتاج الزراعي.

أما بخصوص إعطاء الأولوية للإنتاج على الاستهلاك فقد ذكر بن نبي أن هذا الأمر مهم لمجتمعات العالم الثالث عموما وللمجتمعات العربية خصوصا من أجل الإقلاع ومن ثم اكتشاف قدراتها الحقيقية، لأن الإنتاج ضروري وهو أساس التنمية ولا يمكن أن نتنظر اقتصادا قويا يكون فيه المجتمع "زاهدا متواكلا ينتظر السماء تمطر ذهبا أو فضة، يعلل أوضاعه بمقولات تفيد التخاذل وتبرر له التنصل من دور الاستخلاف في الأرض، أو منبرا بما عند الأجنبي، مستهلكا لكل ما ينتجه (أسعد، 1986، صفحة 250) إذ يتعين على أي مجتمع أراد اقتصادا قويا ومتطورا أن يستثمر" سائر طاقاته، يستثمر عقوله وسواعده ودقائقه كافة، وكل شبر من ترابه..." (بن نبي، 2002 د، صفحة 175) وعليه أن يسارع إلى الإنتاج ولو بأبسط الوسائل "فغاندي حرر العامل الهندي من أسر البذلة البريطانية المستوردة من هناك بإحلال المغزل البدائي اليدوي لإنتاج ألبسته، وكانت دعوته المواطنين لإحراق الثياب في الساحات العمومية أمام مرأى الجند البريطانيين

بمنزلة الامتحان الأول لجاهزية الفرد الهندي للثورة واختبار قوته وإرادته في التغيير (رومن، 1981، صفحة 244).

وأما بخصوص تخليص المواد الأولية من الهيمنة الغربية فقد ذكر بن نبي أن دول العالم الثالث وخاصة العربية منها تمتلك إمكانيات معتبرة من المواد الأولية لكن هذه الأخيرة تسيطر عليها الدول الغربية سيطرة تامة وهي من يحدد سعرها لأنها هي التي تملك العملة ذلك أن هذا الأخير أي السعر لا تحدده العناصر الاقتصادية الخاضعة لقانون العرض والطلب فحسب بل إنه يتحدد أيضا بعناصر غير اقتصادية مالية وسياسية واستراتيجية- أعني الإرادة الخاصة لأحد الأطراف وهو في حوزته العملة - وهذا ينطبق تماما على البترول فإن هذه العناصر الأخيرة المذكورة هي التي تحدد وحدها أسعاره، دون أن يكون للبلاد المنتجة للمادة حق في إبداء رأيها (بن نبي، 2001 ج، صفحة 170).

وهكذا فالعلاقة بين المادة الأولية والعملة يحددها الطرف المالك للعملة وغالبا ما تكون هذه الأسعار منخفضة انخفاضا شادا عند استيرادها، مرتفعة أكثر حال تصديرها مصنعة.

" فمثلا ليس هناك أي سبب ظاهر لأن يكون سعر الحلفا الجزائرية - وهي مادة أولية - أقل ثلاثين أو أربعين مرة من سعر منتجاتها - عجينة السليلوز والورق- المصنوعة في إنجلترا ليس هناك سوى سبب واحد يتصل بين الحلفا والجنيه الإسترليني، وذلك هو فائدة الصناعة الإنجليزية والعامل الإنجليزي، وهكذا تكبد ساعة العمل التي يؤديها العامل الإنجليزي العامل الجزائري كثيرا إذ إن الأول يفضل الثاني بالعملة، على حين لا يمثل الثاني سوى المادة الأولية (بن نبي، 2001 ج، صفحة 171).

ولتخليص هذه المادة من التسلط الرهيب للعملة يرى بن نبي أن ضرورة مقايضة مادة أولية بمادة أولية، ومادة أولية بتجهيز صناعي هي الحل الأنجع وذلك

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

مثلما" بادلت سيلان على هذا الأساس محصول الكاوتشوك مقابل الأرز الصيني وبادلت مصر قطنها مقابل التجهيز الصناعي (بن نبي، 2001 ج، صفحة 172).

وإذ ما اصطدمت البلاد الأفريقية في مبادلاتها مع الغرب بكتلة نقدية فإنه بإمكانها أن" تنشئ في مواجهة الكتلة النقدية كتلة المادة الأولية، وبعبارة أخرى إذا كان مبدأ الاقتصاد الموحد صادقاً في الميادين الزراعية والصناعية في الاقتصاد الأفريقي، فإنه أيضاً صادق في ميدان تسويق المواد الأولية لمواجهة الاستراتيجية المالية للترست بصورة فاعلة (بن نبي، 2001 ج، صفحة 172) ذلك أن تنظيم سوقاً موحداً للمادة الأولية تنظيماً محكماً تبعاً للاقتصاد الموحد هو الحل الأفضل لتحرير المواد الأولية من تسلط العملة الأجنبية.

3. المقومات البشرية وطريقة استغلالها

1.3 المقومات البشرية

تمتلك المجتمعات العربية قوة بشرية هائلة من حيث نمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض، وتركيبهم (العمرى، والنوعى، والاقتصادى، والدينى، والتعليمى) لكن وعلى الرغم من هذا بقيت متخلفة راکدة، ولكي تتخلص من هذا التخلف والركود يرى بن نبي أنه من الضروري أن تستثمر في هذه المقومات حتى لا تكون لقمة سائغة في أيدي أعدائها.

2.3 طريقة استغلال هذه المقومات

يجدر بالدول العربية - في نظر مالك بن نبي- إذا ما أرادت أن تتخلص من تخلفها وركودها وسيطرة الأجنبي عليها أن تستثمر في المجتمع وتعطيه الأولوية على الاستثمار في المال وأن تعمل على تعبئة الطاقات الاجتماعية الكاسدة، وتضع حداً للكساد الفكرى، وتطعم اقتصادها بقيمها الثقافية الخاصة، وتعمل على تحقيق ما يسمى بالفعالية الاجتماعية، وتخضع عمليتي الإنتاج والاستهلاك إلى أساس أخلاقى.

فبخصوص الاستثمار الاجتماعي يرى بن نبي أن دول العالم الثالث التي من بينها الدول العربية تزخر بمورد اجتماعي هائل ينبغي عليها أن تستثمره إذا ما أرادت الخروج من تخلفها فهو أداة مهمة في تحقيق التنمية وهو من يتحكم في الشعوب ويقرر مصيرها ويمكنه أن يعوض الاستثمار المالي.

فالصين لما اعتمدت عليه وثبت وثبة عملاقة في مضمار التنمية و" تقدمت اقتصاديا بسرعة مرموقة لأنها منذ اللحظة الأولى اعتمدت في خطط تنميتها على مبدأ الاتكال على الذات، أي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي من الإنسان الصيني وتراب الصين والزمن المتوفر في كل الأرض" (بن نبي، 2000 أ، صفحة 76) وهذا خلافا للهند التي اعتمدت على الاستثمار المالي، ذلك أن" الصين وضعت كل تبعات التنمية على كاهل الشعب فعوضت بطاقاته الحيوية الموجودة بقدر الإمكان الطاقات الميكانيكية المفقودة حتى في المشروعات الكبيرة الحجم، أي أنها عوضت بقدر الإمكان الإمكان المالي بالإمكان الاجتماعي تعويضا جعلها رائدة العالم الثالث بلا جدال، وجعلها عامة تحصل على خبرة فريدة في العالم في مجال توظيف الإنسان والتراب والزمان (بن نبي، 2000 أ، الصفحات 76-77).

ويضيف مفكرنا أن الاستثمار في المورد الاجتماعي أقوى وأفضل من الاستثمار المالي وخير مثال قدمه لنا في هذا الصدد هو ما حدث للشعب الألماني بعد الحرب العالمية الثانية التي خرج منها مدمرا تدميرا كلياً، ثم بفضل إمكانه الاجتماعي عاد وبني ما دمر من جديد وفي هذا الشأن يقول: إن المجتمع الألماني وجد نفسه بعد عام 1945 في وضع يجعله يعود إلى الحياة من دون سلطان مالي، أو لا يعود إن كان المال هو الوسيلة الوحيدة لإعادة بناء وطن كثيف الصناعة، قد دمرته الحرب تدميرا شاملا، إن الإمكان الاجتماعي هو الذي يقرر مصير الشعوب والمجتمعات والدول" (بن نبي، 1978 ب، صفحة 74) ويبي

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

صناعاتها ويطور اقتصادها وهكذا أعاد الشعب الألماني " بناء كل مدنه المدمرة وصناعاته الضخمة وكل نشاطه الاقتصادي وذلك بما تبقى لديه من وسائل بسيطة تمثل الإمكان الاجتماعي في الظروف العصيبة أو ظروف السير على حد سواء (بن نبي، 2000 أ، صفحة 74).

وفي مدى أهمية هذا المورد وأفضليته على الاستثمار المالي يقول " لو دمرت مدينة كبرى مثل نيويورك على إثر زلزال شديد فإننا سوف نرى بكل تأكيد إعادة بنائها ... لكن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن تشتري مدينة نيويورك، لأن قدراتها المالية غير كافية" بينما بإمكانها الاجتماعي بناء أو إعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك (بن نبي، 2000 أ، الصفحات 73-74) لذا يجدر بدول العالم الثالث أن تركز على هذا الإمكان قدر الإمكان كي تخرج من تخلفها وتتجاوز أزماتها.

وبخصوص تعبئة الطاقات الاجتماعية الكاسدة يرى بن نبي أن دول العالم الثالث تعاني من مشكلة كساد الطاقات الاجتماعية وهي الطاقات التي مهمتها الاستهلاك لا غير، وهذا الكساد هو من سبب الخلل في التوازن بين عمليتي الإنتاج و الاستهلاك " فليس يسيرا من الناحية الفنية أن نوفق بين الإنتاج والاستهلاك... في البلاد التي تعاني منذ أمد هذا الكساد للطاقات الاجتماعية الذي يطلق عليه اليوم اسم التخلف (بن نبي، 2000 أ، صفحة 80) والإخلال في التوازن بين هاتين العمليتين هو من يضعف ما يسميه بالديناميكا الاقتصادية التي رسم شروطها في شكل مسلمتين تمثلت الأولى في أن لقمة العيش حق لكل فم، وأما الثانية في أن العمل واجب على كل ساعد.

فالمسلمة الأولى يفرضها الاختيار لمبدأ معين يلتزمه المجتمع ويسجله في دستوره بوصفه أساسا لعقده الاجتماعي.

أما المسلمة الثانية فليست اختيارا بل هي ضرورة تفرضها المسلمة الأولى شرطا لاستمرار التفاعل بين الإنتاج والاستهلاك، تفاعلا جدليا نستطيع صياغته

في صورة منطقية إذا قلنا: إنه لا إنتاج من دون استهلاك ولا استهلاك من دون إنتاج (بن نبي، 2000 أ، صفحة 80)

إذن الإشكال الذي يحول دون تحقق الديناميكا الاقتصادية في نظربن نبي يكمن في تعطل الطاقات الاجتماعية التي يتعين إطلاقها لأن إطلاقها أمر ضروري وممكن يحتاج فقط إلى حسن التصرف والتخطيط " فالقضية ليست في الحقيقة قضية قصور في الإمكان بل قصور في السياسة والتصرف والتخطيط (بن نبي، 2000 أ، صفحة 81) و"يجب أولا على من يخطط لإطلاق هذه الطاقات الكاسدة أن يكون مقتنعا بضرورة إطلاقها وبإمكانه دون شروط إضافية خارجة عن المسلمين (بن نبي، 2000 أ، صفحة 80)

ويضاف إلى مشكلة كساد الطاقات الاجتماعية مشكلة أخرى هي مشكلة الكساد الفكري" الذي يجب رفعه لتحريك الطاقات الأخرى المعطلة - غير أن رفعه - يقتضي عمليات تقنية ربما تتطلب أولا تغيير خريطة الإسكان في البلاد للتوفيق بين متطلبات التمويل والعمل ولا يبدو هذا غريبا، فهذا ما يحدث عرضا أو قصدا في كل تخطيط شامل في مرحلة الطفرة وفي ما يسمى في الصين الوثبة إلى الأمام (بن نبي، 2000 أ، صفحة 81) وهذا ما قامت به أيضا ألمانيا بعدما خرجت من الحرب العالمية الثانية مدمرة حيث " غيرت إلى حد ما خريطة الإسكان داخل حدودها لتحقيق الشروط الأولية بتطبيق مخطط الدكتور شاخت الذي استهدف لأسباب استراتيجية وفنية إشادة مراكز صناعية كبرى في مناطق جديدة لتيسير التمويل بالمواد الخام مع اقتصاد ما يمكن من الوقت ووسائل النقل، فاستتبع هذا التغيير في خريطة الصناعة تغييرا لخريطة الإسكان ولخريطة التمويل بالغذاء ولخريطة المواصلات (بن نبي، 2000 أ، الصفحات 81-82)

والمجتمع العربي الذي هو واحد من مجتمعات العالم الثالث ينبغي أن ينطلق من ذاته وأن تكون لديه إرادة واضحة للتخلص من مشكلة التخلف

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

والكساد الفكري كي يقلع حينها سيدرك" أن القصور الذي يفرضه التخلف في المجال الاقتصاد إنما هو نتيجة لتصور الأشياء لا لطبيعة الأشياء ذاتها، وسوف يرى طاقاته الذاتية قادرة على تغيير كل الظروف في جو يسوده الإخاء والطمأنينة (بن نبي، 2000 أ، صفحة 83)

وإلى جانب الكساد الاجتماعي والكساد الفكري يضيف بن نبي مسألة أخرى وهي مسألة القيم الأخلاقية أو كما يسميها بمصطلح أوسع القيم الثقافية، وذكر أن هذه الأخيرة هي التي تدور حولها المعارك الاقتصادية لذلك قال: "وإذا ما كان لنا درس نستخلصه من تجربة الصين، فإنما هو أن المعارك الاقتصادية عندما تدور رحاها فهي تدور حول قطب القيم الأخلاقية، وإن وسعنا المصطلح قلنا حول القيم الثقافية (بن نبي، 2000 أ، صفحة 83)، ويعني هنا بالقيم الثقافية قيم الدين الإسلامي فهو في نظره أي الإسلام هو من يخلص الاقتصاد من سطوة الرأسمالية وقبضة الماركسية المادية وهو من يعيد له أخلاقه" وأجدر من يقوم بهذه التجربة الرائدة للبلاد الجزائر وليبيا ومصر وسوريا، التي دخلت فعلا المعركة الاقتصادية على نهج معين، تستطيع توسيع أفقه بخبرة جديدة وتطعيمه بروح إسلامي، يعيد المال إلى وظيفته بوصفه خادما مطيعا للمجتمع لا سيدا له، ويرفع عن الإنسان الأسر الذي قيدته به المادية الماركسية التي أقحمته في عالم الاقتصاد مجرد آلة للإنتاج (بن نبي، 2000 أ، صفحة 84)

أما بخصوص تحقيق ما يسمي بالفعالية الاجتماعية فقد اعتبرها بن نبي ضرورة في تطور مجتمعات العالم الثالث وقد لعبت دورا كبيرا في تطور المجتمع الغربي وازدهاره حتى غدت خاصية من خصائصه، كما يرى أن الفعالية تكون على المستوى الفردي والاجتماعي، فهي على المستوى الاجتماعي تعني القدرة على توليد ديناميكا اجتماعية وذلك بالدخول في تخطيط منهجي لا يحتوي خليطاً من الأفكار المتناقضة، وهذه الفعالية هي التي نعرف من خلالها مدى قدرة الفرد-

بحسب مجتمعه-في السيطرة على أسباب الحياة الاجتماعية" فالفرد...يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه (بن نبي، 2002 هـ، صفحة 43) لأن المجتمع هو عبارة عن "جهاز التحويل الذي يحول الطاقات الاجتماعية إلى نتائج مختلفة...وبقدر ما يكون أكثر جودة بقدر ما يكون محصوله في مستوى أفضل (بن نبي، 2000 و، الصفحات 59-60) فالفرد الذي يعيش في عالم الشمال حيث يسود الإمكان الحضاري ليس هو الفرد الذي يعيش في عالم الجنوب حيث يفقد هذا الإمكان فلو" فرضنا فرضين:

1- إن مولودا أتى على محور واشنطن- موسكو: سيخضع قطعاً منذ اللحظة الأولى إلى قانون الأعداد الكبرى، أي إلى القانون الإحصائي إنه سيكون له في التعليم ورعاية الصحة طفلاً، وفي العمل رجلاً حظ من نسبة نشر التعليم، ورعاية الصحة والتعليم والعمل على محور ولادته، أي فوق 90% .

2- إن مولودا أتى على محور طنجة- جاكرتا: سيخضع أيضاً إلى القانون الإحصائي: أي أن مصيره سيتحقق على ما دون 40% من التعليم ورعاية الصحة والعمل...فإن ولد في الهند مثلاً فإن له 25% من الحظ أن يكون منبوذاً و75% من الحظ أن يكون عاطلاً عن العمل، مهما كانت مواهبه الشخصية لذلك يتبين من خلال هذين الفرضين بأن تصرف الفرد مقيد بشروط اجتماعية سبقته إلى الوجود (بن نبي، 2000 أ، الصفحات 92-93) فهذه الحتمية الاجتماعية هي من تتحكم في سلوك الأفراد وتصرفاتهم في مجتمعاتنا، فإذا عرفنا طبيعتها ومدى سيطرتها علينا تمكنا من "تغيير معادلتنا الاجتماعية على الطريقة التي أتاحَت تغييرها لمجتمعات أخرى مثل اليابان في أواخر القرن الماضي والصين في منتصف هذا القرن (بن نبي، 2000 أ، صفحة 52).

لأن التغيير شرط كل تطور حضاري وشرط كل عملية إصلاح أو بعث وإحياء لذلك يضعه بن نبي "كفاعلية إنسانية فردية واجتماعية وأمية وراء كل

مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي

نهضة (جيلالي، 2010، صفحة 95) لذا تراه يلح إلحاحا شديدا على ضرورة تغيير معادلتنا الاجتماعية والتي لا تتغير حسبه إلا بطريقتين:

"إما أن تصنعها الأيام بتكرار التجارب التي تتحول بالتدريج إلى عادات مستقرة تطبع تلقائيا السلوك الفردي والجماعي بطابع الفعالية، وإما أن تكون تحت إشراف إرادة هادفة تريد ما تفعل وتفعل ما تريد لمواجهة ظروف وضرورات قاسية" (بن نبي، 2000، أ، صفحة 95).

وأما بخصوص إخضاع عمليتي الإنتاج والاستهلاك إلى أساس أخلاقي فقد رأى مالك بن نبي أن أخلاقة هاتين العمليتين ضروري ومهم جدا لإيجاد التوازن بينهما ومن ثم الإقلاع، ذلك أن مبدأ دعه يعمل دعه يمر هو مبدأ أطلق العنان للمال وفتح مجال التصرف الحر أمام الرأسمالية، ولم ترع فيه مصلحة المنتجين والمستهلكين وبذلك أخل التوازن بين العمليتين، لهذا السبب أصبح من الضروري في نظر بن نبي ربط القيم الاقتصادية بالقيم الأخلاقية يشبه فيها الإنتاج بالواجب الذي نعطيه للمجتمع والاستهلاك بالحق الذي نأخذه منه، وانطلاقا منهما يكون المجتمع ناميا أو راكدا أو في طريق الانهيار، وهذه الثلاث حالات يحقق المجتمع إحداها "فحسب تركيزه على مفهوم الواجب أو على مفهوم الحق تكون معادلته الاقتصادية: إيجابية بفائض الإنتاج على الاستهلاك مما يدعو المجتمع إلى استثمار فوائض إنتاجه في العمليات والميزانيات المقبلة، أما إذا استوى الطرفان فيكون التعادل بمعنى أنا السمة الغالبة على المجتمع هي الركود والخمول، بينما إذا كانت العلاقة سلبية فإن الاستهلاك أكبر من الإنتاج فإنه مؤشر على انهيار المجتمع وتقهره(عمّار، 2006، الصفحات 149-168).

وهذا فإن بن نبي يرمي من خلال أخلاقة عمليتي الإنتاج والاستهلاك إلى ضرورة دفع الآلة الاجتماعية للتحرك فאלكل ينتج والكل يستهلك، أي الكل يعطي

والكل يأخذ، وكل مجتمع متخلف يستطيع الإقلاع إذا ما اقتنع بهذا المبدأ وانطلق منه.

4. خاتمة

بعد عرضنا لأهم المقومات الطبيعية والبشرية التي تزخر بها مجتمعات العالم الثالث خصوصاً العربية منها ووقوفنا على طريقة استغلال كل منها من وجهة نظر مالك بن نبي بغية انتشالها من ركودها وتخلفها، نخلص في الأخير إلى القول: بأن هذه المجتمعات تملك موارد طبيعية وبشرية هائلة ومتنوعة، وتحتاج فقط إلى بعض الشروط البسيطة لتحقيق عملية الانطلاق والإقلاع الاقتصادي.

فهي بحاجة إلى أن تتكتل فيما بينها وأن تركز على الجانب الزراعي، وأن تعطي الأولوية للإنتاج على الاستهلاك إضافة إلى ضرورة تخليص موادها الأولية من الهيمنة الغربية، كما يتعين عليها أيضاً أن تستثمر في المجتمع وتعطيه الأولوية على الاستثمار في المال وأن تعمل على تعبئة الطاقات الاجتماعية الكاسدة، وتضع حداً للكساد الفكري، وتطعم اقتصادها بقيمها الثقافية الخاصة (قيم الدين الإسلامي الحنيف) كي تتخلص من سطوة الرأسمالية وتتححر من قيود الماركسية المادية، وتعمل على تحقيق ما يسمى بالفعالية الاجتماعية، وتخضع عمليتي الإنتاج والاستهلاك إلى أساس أخلاقي.

... وكل مجتمع متخلف يستطيع دفع عجلة تنميته على هذا الطريق ينطلق ويقلع ويتغلب على ركوده وتخلفه.

5. قائمة المراجع

1.5 المؤلفات

بو بكر جيلالي. (2010). *البناء الحضاري عند مالك بن نبي*. باب الواد، الجزائر: دار المعرفة.

رولان رومن. (1981). *مهاثما غندي*. (عمر فاخوري، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الأفاق الجديدة.

السحمراني أسعد. (1986). *مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا*. بيروت، لبنان: دار النفائس.

مالك بن نبي. (1978 ب). *مشكلات الحضارة، المسلم في عالم الاقتصاد* (الإصدار 3). بيروت، لبنان: دار الشروق.

مالك بن نبي. (2000 أ). *مشكلات الحضارة، المسلم في عالم الاقتصاد* (الإصدار 2). ندوة مالك بن نبي، المحرر) دمشق، سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2000 و). *مشكلات الحضارة، فكرة كومونولث إسلامي* (الإصدار 2). (الطيب الشريف، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2001 ج). *مشكلات الحضارة، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ* (الإصدار 3). (عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق، سوريا: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2002 د). *مشكلات الحضارة، بين الرشاد والتيه*. دمشق، سورية: دار الفكر.

مالك بن نبي. (2002 هـ). *مشكلات الحضارة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*. (أحمد شعبو، وبسام بركة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفكر المعاصر.

2.5 الملتقيات

طالبي عمار. (2006). *فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر*. ورقة قدمت إلى الملتقى الدولي حول مالك بن نبي، فكره وأعماله (1973-1905) (الصفحات 149-168). الجزائر: المجلس الإسلامي الأعلى.